

المزية في أحكام الشعراء النقديّة

ولاء نعيم العلي* أ.د. عبد الكريم حسين**

(الإيداع: 18 شباط 2026، القبول: 30 آذار 2026)

الملخص:

يسلط البحث الضوء على أهميّة الأحكام النقديّة التي يطلقها الشعراء على أشعار غيرهم بالكشف عن المزية في هذه الأحكام النقديّة، ويبحث في خاصيّة نقدهم التي تميزه من نقد النقاد، فوقف البحث على مثال من هذه الأحكام النقديّة في عصور عدّة، ونظر في النصوص الشعريّة التي حُكم عليها من قبل الشعراء، وبدراسة النصوص والأحكام استطاع البحث الوقوف على ما ماز هذه الأحكام النقديّة، وتكمن أهميّة هذه الدراسة في إظهار المزية في نقد الشعراء وكيفية اكتساب هذا النقد مزيتة.

يهدف البحث إلى الكشف عن مزية الحكم النقديّ الذي يطلقه الشاعر، والبحث في المسوّغات التي تجعل هذا الحكم يكتسب هذه المزية، والنظر في أهمّ ما ماز نقد الشعراء، وذلك بدراسة أحكام نقديّة للشعراء على نصوص شعريّة. أُجريت الدراسة وفق المنهج الاستقرائي لأحكام الشعراء النقديّة، وتأريخيّ بالوقوف على الأخبار النقديّة بترتيب زمنيّ، ووصل البحث إلى نتائج عدّة، أهمّها:

1. تتأثّر هذه المزية ببيئة الشاعر وترتبط بها أيما ارتباط، فالشاعر ابن بيئته التي أسست فكره وذوقه وملكته الشعريّة، فأسهمت في جعله مميّزاً عن حكم الناقد وتوجهه النقديّ.
2. يكتسب نقد الشاعر مزيتة من سرعة البديهة في فهم المراد من الشعر موضع النقد، ومن سرعة البديهة في الحكم على هذا الشعر بما يناسب المقام الذي قيل فيه.
3. يعدّ الإيجاز في إطلاق الحكم النقديّ أهمّ مزية في نقد الشاعر، ودليل إصابته فيما يرمي إليه؛ لأنّه لا يحتاج إلى كثير كلام لشرح موقفه وتسويغ حكمه وإقامة الحجّة عليه.

الكلمات المفتاحيّة: مزية، النقد، الحكم النقدي، الشعر، الشاعر، خبر نقدي، جاهلي، صدر الإسلام، أموي، عباسي.

* طالبة دكتوراة – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

** أستاذ دكتور – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

The advantage in critical judgments of poets

Walaa Naeem Al-Ali* Prof. Abdul Karim Hussein**

(Received: 18 February 2026, Accepted: 30 March 2026)

Abstract:

The research shed light on the importance of critical judgments that poets make on the poetry of others by revealing the merit in these critical judgments, it examines the specificity of their criticism that distinguishes it from the criticism of critics, the research stopped at example of these critical rulings in many eras, and looked at the poetic texts that were judged by the poets, by studying the texts and rulings, the research was able to identify what these monetary rulings are. The importance of this study lies in showing the merit of criticism in the poets and how this criticism acquired its merit.

The research aims to reveal the merit of the critical judgment launched by the poet, and researching the justifications that make this ruling gain this advantage, and seeing the most important characteristic of criticism among poets by studying critical judgments of poets on several poetic texts.

The study was conducted according to the inductive approach to the critical judgments of poets, a historical approach by looking at the critical news in chronological order, and the research reached several results, the most important of which are:

1. This feature is influenced by the poet's environment and is closely related to it, the poet is the son of his environment in which established his thought, taste and poetic faculties through, it contributed to making it distinct from the judgment of the critic and his critical orientation.
2. Criticism of the poet gains its advantage from his training, and he can look at poetry carefully if he is an expert, as he is the most knowledgeable about poetry.
3. Briefness in launching critical judgment is the most important advantage in criticizing the poet, and the evidence for his being correct is what he is aiming at, because he does not need much talk to explain his position, justify his ruling, and establish an argument against him.

Keywords: Advantage, criticism, critical judgment, poetry, poet, pre-Islamic, early Islam, Umayyad, Abbasid.

*PhD student – Department of Arabic Language and Literature – Faculty of Arts and Humanities – University of Damascus

**Professor – Department of Arabic Language and Literature – Faculty of Arts and Humanities – University of Damascus

المقدمة:

هل الحكم النقدي الذي يطلقه الشاعر على الشعر يختلف عن الحكم النقدي الذي يطلقه الناقد، وهل يتبع الشاعر اتجاهًا نقديًا يميز نقده من نقد النقاد، تعدّ هذه الأسئلة إشكالية البحث الرئيسية، وعليها المعول في الكشف عن المزية في نقد الشعراء، فالشاعر هو الناقد والقارئ والمتلقي الأول لشعره، وهو الأعم بدقائق الشعر وخفاياه، وعندما يتعلق الأمر بنقده شعر غيره لا بد أن يستفيد من هذه المعارف في إطلاق أحكامه النقدية، فكانت دراسة بعض أحكام الشعراء النقدية حاجة ملحة، والكشف عن المزية في هذه الأحكام مطلبًا أساسيًا في هذه الدراسة، وذلك بدراسة نصوص شعرية أطلق عليها أحكامًا نقدية.

وقد مرّ الشعر بمراحل عدّة من التدقيق من قبل الشاعر نفسه، ولذلك يعدّ وقوف الشاعر على شعره بالإصلاح والتّقيح أول بذرة للنقد؛ لأنّه يقوم شعره ويميز جيده من رديئه ليقدم شعره بأفضل صورة ممكنة، وبعد تلاقي الشعراء في المجالس والأسواق اتسع مفهوم النقد، فأطلق الشعراء أحكامًا انطباعية وآراء ذاتية تعتمد على الذوق والسليقة في تهذيب أشعار بعضهم، ويبدو أنّ النقد كان مهمة الشعراء في البداية بصورة مآخذ قبل أن يختصّ به النقاد والعلماء والأدباء ويصبح علمًا قائمًا بذاته، وما بهم هذا البحث ما ماز نقد هؤلاء الشعراء، وما أضافت معرفتهم بالشعر إلى أحكامهم ومآخذهم النقدية على أشعار غيرهم، ولوضع حدود هذه الدراسة كان البحث في أمثلة عدّة مختارة بترتيب زمني من الجاهلية إلى العصر العباسي، ودراسة ما فيها من أحكام وتعليقات نقدية.

المزية في اللغة:

لا بدّ من معرفة المعنى اللغوي للفظ المزية؛ لتحديد المعنى المراد بها في هذا البحث، والمزية: "في كلّ شيء: التمام والكمال، وتمازى القوم: تفاضلوا، والمزية: الفضيلة. يُقال: له عليه مزية، قال: ولا يُبنى منها فعل.. والمزية: الطّعام يُخصّ به الرّجل"¹، وفي التفاضل بحثٌ عن الزيادة والنقصان فتبرز المزية ما زاد في نقد الشاعر وما نقص فيه عن نقد غيره، وتأخذ المزية معنى الفضيلة وشيء يُخصّ به المرء حملاً على معنى الطّعام الذي يُخصّ به الرّجل، وهذا المعنى يقترب من المزية التي نبحث عنها في نقد الشعراء دون نقد غيرهم، وأن يكون لنقد الشعراء فضيلة على نقد غيرهم ربّما لأنهم الأسبق في هذا الميدان ولا سيّما أن النقاد أسسوا للنقد ووضعوا أصولاً له وإن تأخروا عن الشعراء في الوصول إلى ميدانه، وتأخذ المزية معنى المنزلة إذ "يقال له عندي قفّة ومزية: إذا كانت له منزلة ليست لغيره"² وهذا ما يريد البحث التّثبت من دقّته فيما يخصّ نقد الشعراء، وهل لهذا النقد منزلة ليست لغيره؟! المنزلة التي يأخذها نقدهم على بساطته وطفولته.

المزية في الاصطلاح:

عادة ما يرتبط المعنى الاصطلاحي للفظ ما بأصله اللغوي، ويهتمّ البحث بالنظر في المعاني التي قصدها النقاد في استعمالهم للفظ المزية، ومنهم ابن رشيق (-456هـ) الذي قرن المزية بالفضل فقال في معرض حديثه عن فضل الشعر: "والكاتب لا يفعل ذلك إلّا أن يفعله منظوماً غير منشور، وهذه مزية ظاهرة وفضل بين"³، وهذا القران تكرر غير مرّة في كتابه ممّا يدلّ على الارتباط الوثيق بين المعنيين.

ومن أوائل من يتبادر إلى أذهاننا من النقاد عندما يرد لفظ المزية هو عبد القاهر الجرجاني (-471هـ) صاحب نظرية النظم، وقد استعمل عبد القاهر لفظ المزية غير مرّة ويعني بها الفضيلة، كما استعمل لفظ الفضيلة وأراد المزية في قضية

¹ ابن منظور. (د. ت). لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة. دار المعارف، مادة مزأ، ص: 4195

² الأزهري. محمد بن أحمد (282-370هـ). (1384هـ-1964م). تهذيب اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. مصر، دار القومية العربية. مادة مزي، ج: 13. ص: 275

³ الفيرواني، ابن رشيق. (1401هـ-1981م). العدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: 5. بيروت: لبنان، دار الجيل، ج: 1، ص: 22

التفاضل بين اللفظ والمعنى، فقال: "فإن قيل: فماذا دعا القدماء إلى أن قسّموا الفضيلة بين المعنى واللفظ، فقالوا: (معنى لطيف، ولفظ شريف)، وفحّموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النظر: (إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ)، فأطلقوا كما ترى كلاماً يُهم كل من يسمعه أن المزية في حاقّ اللفظ"¹، وهنا يريد المزية واستعمل الفضيلة وهما عنده واحد، وذلك في طريقه إلى إثبات المزية في النظم لا في اللفظ أو المعنى.

وقد قرن الجرجاني المزية بالفضل والتفضيل غير مرة والمعنى عنده واحد، منها قوله: "... أن تريد المدح وإثبات المزية والفضل على غاية المبالغة.. وإما أن يكون التفضيل على توسط"²، في طريقه إلى إثبات المزية على المبالغة وتفاوت طرقها، أي إنّه يستعمل الأصل اللغوي للفظ المزية وهو الفضل والفضيلة. كما قرن الجرجاني المزية بالحسن في حديثه عن صفة النظم فقال: "واعلم أنّ الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ"³، والحسن من لوازم الكمال والتّمام وهنا لم يخرج المعنى عن أصله اللغوي. وإذا أردنا المعنى المراد للمزية في هذا البحث فإنّها لا تخرج عن حدود هذه المعاني أجمع، فالمزية أو الفضيلة في نقد الشعراء ومازت نقدهم من نقد غيرهم هي ما يرمي إليه هذا البحث.

أولاً: من أحكام الشعراء النقدية في العصر الجاهلي:

والنقد في الجاهلية أقرب إلى مظاهر نقدية ومواقف للأحكام والآراء، ولا ينبغي إنكاره على قلّته وتعدّد الأخبار في روايته، فالنقد لم يأت وليد لحظة معينة مستويًا على سوقه، بل كانت له طفولة احتضنته، وأسهمت في نشأته، وكوّنت هذه المظاهر النقدية، ويكاد المعنى يكون واحدًا في قولنا: أحكام الشعراء النقدية في العصر الجاهلي أو النقد في العصر الجاهلي؛ لأننا أمام شعراء انتبهوا إلى ما جاء في أشعارهم وأشعار غيرهم من خطأ فأصلحوه أو نبّهوا عليه: "فما كان النقد الجاهلي أكثر من مأخذ يفتن إليها الشعراء في الشعر، وما كان أكثر من ملحوظات يلحظها بعضهم على بعض، وما كان له من أصل إلا سليقتهم وما طبعوا عليه"⁴، وأكبر دليل على هذه السليقة ما جاء في خبر عن طرفة بن العبد عندما أملت عليه الفطرة والسليقة في مأخذه على شعر المتلمس⁵.

نقد طرفة شعر المتلمس: وقد كثرت روايات هذا الخبر وسنركن إلى ما ذكره ابن قتيبة (-276هـ) في الشعر والشعراء من أخبار المتلمس وشعره، يقول ابن قتيبة: "ومما يُعاب من شعره قوله"⁶: (الطويل)

وَقَدْ أَتَّأَسَى الْهَمَّ عِنْدَ اخْتِصَارِهِ
بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْغَةُ⁷ مُكْدَمٌ⁸

والصَّيْغَةُ سِمَةٌ لِلتَّوَقُّ لا للفحول، فجعلها لفحل. وسمعه طرفة وهو صبيّ ينشد هذا: فقال: ((اسْتَتَوَّقَ الْجَمَلُ))! فضحك الناس وسارت مثلاً⁹، وقد جعل الجُمُحِي (-231هـ) طرفه في أول الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقال عن أصحاب

¹ الجرجاني، عبد القاهر. (1413هـ-1992م). دلائل الإعجاز. تعليق: محمود محمد شاكر. ط3. مطبعة المدينة ودار المدني. ص: 63

² الجرجاني، عبد القاهر بن محمد (د.ت). أسرار البلاغة. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة، مطبعة المدني، جده، دار المدني. ص: 77

³ الجرجاني (1413هـ-1992م). ص: 88

⁴ إبراهيم، طه أحمد. (1425هـ-2004م). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري. مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ص: 39

⁵ وفي رواية أخرى الشعر للمسيب بن علس، وأخرى لعمرو بن كلثوم، يُنظر: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (-384). (1415هـ-1995م). الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. تحقيق محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: 94، 95

⁶ الضبيعي، المتلمس. (11390هـ-1970م). ديوان شعر المتلمس الضبيعي رواية الأثر وأبي غبيدة عن الأصمعي. تحقيق حسن كامل الصيرفي. القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية. ص: 320

⁷ الصيغرية: اعتراض في السير، وهو من الصعر، والصيغرية سمة في عنق الناقة خاضعة، يُنظر: ابن منظور (د.ت) مادة صعر، ص: 2448

⁸ الناجي: البعير السريع ينجو براكبه، مكدم: الغليظ الصلب

⁹ ابن قتيبة. (1418هـ-1998م). الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط2. القاهرة. دار الحديث، ج1، ص: 183

هذه الطبقة: "موضعهم الأوائل وإنما أخلَّ بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة"¹، وبصرف النظر عن قائل البيت لاختلافهم في نسبته فالناقد هو طرفة في الروايات جميعاً، فإن قالها صبي للمتلص كما ذكر ابن قتيبة أو شاب شاعر (للمسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة أو لعمر بن كلثوم عندما وفد على عمرو بن هند) كما ذكر المرزباني (-384هـ) فإنها تدل على دقة ملاحظته وحسن استماعه وسلامة ذوقه وفطرته التي نبهته إلى الخلل في الوصف هنا، فقد كان الشاعر في وصف البعير ونقله قول الصعيرة من البعير إلى الناقة، وهذا حكم صائب يدل على امتلاك طرفة مقومات الناقد إذ: "يمكنك أن تحدّد استعداد الناقد أو موهبته بالذوق السليم، فهو الأساس في كلّ عمل نقدي مهما تكن درجته ومهما تكن غايته، ومن مستلزمات الذوق السليم ومتمّماته الإحساس المرفه ومن نتائجه الحكم الصائب الذي يفرض نفسه ويحتفظ بعنصر البقاء"² والدليل وصول هذا الحكم الصائب إلى يومنا هذا والوقوف عليه غير مرة لدقته مع حداثة سنّ صاحبه، وطرفة من شعراء الطبقة الرابعة عند ابن سلام (-231هـ)، وقدمه ليبد على نفسه وجعله أشعر الناس بعد امرئ القيس، يقول ابن سلام: "وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: مرّ ليبد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسولاً رسولاً يسأله: من أشعر الناس؟ قال: الملك الضليل، فأعادوه إليه، قال: ثم من؟ قال الغلام القليل-وقال غير أبان: ابن العشرين-يعني طرفة-قال: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل-يعني نفسه."³، وإن كان الحكم بأشعر الناس حكماً انطباعياً عاماً يناسب المرحلة النقدية آنذاك لكنه يعطي فكرة عن شاعرية طرفة في عمره الفتى، وأن يكون طرفة صبيّاً ولديه هذه الملكة لهو أمر عظيم، ويُضيف هذا الحكم إلى مزية قدرته على النقد في سن مبكرة مزية أخرى؛ وهي صفاء فكره ونقاء طبعه الذي يناسب بينته التي يعيش فيها، ويُلاحظ أنّ ما ركّز عليه طرفة ههنا هو دقة الوصف وهو أمر يناسب العصر، فالوصف كان من الركائز الأساسية في الشعر الجاهلي؛ وصف الحبيبة والطلل والصحراء والحيوان وغير ذلك ممّا كان يطالعه الشاعر العربي حوله، والعربي أدري من غيره في صفات حيوان الصحراء.

نقد النابغة شعر الخنساء وحسان بن ثابت: لا يخفى على أهل النقد والأدب ما كان عليه النابغة الذبياني من منزلة بين شعراء العرب، فقد عدّ من فحول شعراء الجاهلية، وكان الأصمعي (-216هـ) يقدمه تارة على امرئ القيس ويؤخره عنه تارة أخرى، متردداً بينهما في التقديم والتفضيل فقد روى ابن دريد عن أبي حاتم: "سمعت الأصمعي عبد الملك بن قُريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية وسألته آخر ما سألته فبيل موته من أول الفحول قال النابغة الذبياني ثم قال ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس.. قال أبو حاتم فلما رأيته أكتب كلامه فكر ثم قال بل أولهم كلّهم في الجودة امرؤ القيس له الخطوة والسبق وكلّهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه"⁴ وكأنّه جعل النابغة الذبياني من الفحول إذاً فلا اختلاف على فحولته ومقدرته شاعراً، وهو من شعراء الطبقة الأولى عند الجمحي⁵، ممّا لا يدع مجالاً للشك في شاعريته، فإذا أضفنا ما كان له في سوق عكاظ كما جاء في أخبار الشعراء وأحوالهم يذكره ابن قتيبة: "قال الأصمعي: كان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها"⁶ فإننا أمام مظهر من مظاهر النقد في العصر الجاهلي، وأمام شاعر عالم بالشعر ناقد له⁷ تقف أمامه الشعراء تلقي شعرها، وتنتظر حكمه عليها ورأيه بما أنشدته،

¹ الجمحي، محمد بن سلام (-231هـ). طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني. ج:1، ص: 137

² الطاهر، علي جواد. (1979م). مقدمة في النقد الأدبي، ط:1. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص: 343

³ الجمحي (د. ت). ج:1، ص: 54

⁴ الأصمعي. (1400هـ-1980م). كتاب فحول الشعراء للأصمعي. ط:2. تحقيق ش. توي، تقديم: صلاح الدين المنجد. بيروت، دار الكتاب الجديد. ص: 9

⁵ يُنظر: الجمحي (د. ت). ج:1، ص: 51

⁶ ابن قتيبة (1418هـ-1998م). ج: 1، ص: 167، 168

⁷ يُنظر: حسين، عبد الكريم محمد. (1425هـ-2004م). فحول الشعراء عند الأصمعي مفهومها وقاعدتها وتطبيقاتها. ط: 1. دمشق، دار كنان. ص: 57

ومن الأخبار التي وصلت عن هذه المواقف ما كان بين النابغة والخنساء وحسان بن ثابت، يقول صاحب الأغاني: " أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكُراني عن أبي عبد الرحمن الثقفي، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر ابن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة: أن نابغة بني ذبيان كانت تُضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشدته شعره وأنشدته الخنساء قولها¹: (البسيط)

قَدَى بِعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ²

حَتَّى انْتَهتْ إِلَى قَوْلِهَا³: (البسيط)

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْنُو لَنَحَارُ

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس! أنت والله أشعر من كل ذات مثانة. قالت: والله ومن كل ذي خُصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول⁴: (الطويل)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأُسَيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرِّقٍ فَأَكْرَمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِنَا ابْنَمَا

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك⁵ وقد تعددت روايات هذا الخبر⁶ واختلفت طولاً وقصرًا، وبسطاً وإيجازًا، مع الحفاظ على الفكرة الرئيسية وهي أن النابغة قدم شعر الأعشى على شعر الخنساء وشعر حسان.

لاشك في أن قصيدتي الخنساء وحسان تعدان من خير شعرهما، واختيارهما لهاتين القصيدتين دون غيرهما لإنشادهما أمام النابغة ليقرر الأخير أيهما أشعر بين الشعراء الحاضرين دليل على ذلك، وأنشدت الخنساء بعد الشعراء شعرها في رثاء أخيها، ويبدو أن النابغة أقر بشاعريتها بل جعلها أشعر الناس، لكنه إقرار مشروط بإنشادهما بعد الأعشى، وهو حكم غير مباشر بتقديم الأعشى عليها، فهل هذا الحكم مرهون بعنصر الزمن والأسبقية في إنشاد الشعر؟ وهل كان النابغة سيقدم الخنساء لو أنشدته قبل الأعشى؟ هل كان معتمدًا على ترتيبهم في الإنشاد في ميزانه النقدي، أو اعتمد على قوة التأثير وشدة الأسر الذي يحدثه الشعر المنشد أولًا؛ لأن تأثيره يطغى على ما يأتي بعده، فيكون الانفعال الحاصل من الشعر الملقى أولًا (إن كان) المقياس الذي يعتمد عليه النابغة في الحكم؟! وإن كنا نرجح أنه سيقدم الأعشى على غيره لو أنشدته في أي وقت، ولكن لابد أن نضع هذه الفرضيات إذا أردنا دراسة المزية في حكم النابغة النقدي، فالشاعر على علم بما

¹ الخنساء. (1425هـ-2004م). ديوان الخنساء. ط: 2. شرح حمدو طماس. بيروت- لبنان، دار المعرفة. ص: 45

² تنمة البيت: أُم ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

³ ديوان الخنساء (1425هـ-2004م). ص: 46، ثمة اختلاف، في الديوان: (تَوَالِيْنَا)

⁴ ابن ثابت، حسان. (1414هـ-1994م). ديوان حسان بن ثابت. ط: 2. شرح عبد أ مهنا. بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية. ص: 219

⁵ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (356هـ). (1429هـ-2008م). الأغاني. ط: 3. تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، وبكر عباس. بيروت- لبنان، دار صادر. ج: 9، ص: 251، 252

⁶ ينظر الأصفهاني (1429هـ-2008م). ج: 9، ص: 252، وينظر أيضًا: المرزباني (1415هـ-1995م). ص: 75-77

يُحدثه الشعر في النفوس، وربما أثار شعر الأعشى في نفس النابغة كان قوياً مستمراً حتى بعد إنشاد الخنساء؛ مما جعل النابغة يصدر هذا الحكم.

وحتى لا يبخل النابغة الخنساء حقها في ما أنشدت عدل قوله بأنها أشعر النساء، فزادت على قوله بأنها أشعر النساء والرجال، والنابغة لم يذكر ذلك صراحة بل كنى عن ذلك بقوله: (أشعر من كل ذات مائة¹)، وقامت الخنساء بالرد عليه بأسلوب الكناية ذاته، فكلاهما كنى عن الموصوف وهما المرأة والرجل بذكر صفة لهما تختص بهما وتشير إليهما² وهما وجود (الرحم والخصيتين)، ولهذا الموقف وجهان:

الوجه الأول: يتعلّق بالخنساء وأسلوبها في الإجابة، فلم تركز وترصّ بما قاله النابغة، وجارته بأسلوب الكناية ذاته وبالجرأة ذاتها لتثبت مرة ثانية تمكّنها من اللغة وأساليبها، وهذا ليس غريباً عن شاعرة مثل الخنساء، كما يمكن أن نصنّف ردّها من الأجوبة المُسكّنة؛ لأنّه قول بليغ مرتجل، أبدعته مناسبة طارئة.

الوجه الثاني: يتعلّق بالنابغة وتأثير شعر الخنساء فيه ممّا جعله يعترف بمقدرتها الشعرية والأدبية، ولكي يساير النابغة المستوى الأدبي والفني لشعر الخنساء لجأ إلى الكناية في أسلوب حكمه، فكلّ مقام مقال، والوظيفة الإبلّغية للكناية لها المزية التي نبحت عنها، يقول الجرجاني (-471هـ): "كذلك إثباتك للشئ تثبّتها له، إذا لم تُلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقلّ قليله، ولا يُجهل موضع الفضيلة فيه"³، ومزية حكمه هنا نابعة من حسّه الشعريّ ومرتبطة بتقديره لصنيعها، لكنّها مزية وليدة اللحظة والموقف ومرهونة بالانفعال الذي تركه شعرها في نفسه، وهذا ما سنجد أثره جليّاً في نقده شعر حسان كما سيأتي، وبما أنّ حكمه هنا مرتبط بالذوق الفني والانفعال العاطفي الذي أحدثه شعر الخنساء اعتقد بعضهم أنّ حكم النابغة جاء من باب المجاملة⁴، ولا أطنّ أن شاعرة بمنزلة الخنساء وتاريخها الشعريّ تُجامل.

أما حسان بن ثابت الذي أنشد شعره بعد الشعراء فقد تحدّى النابغة والخنساء في كونه أشعر منهما، وكانت قصيدته في الفخر بقومه اليمانيين، وإلى هنا فالخبر متفق عليه، وبعد ذلك يبدأ الاختلاف على نقد النابغة بين الدقة والصحة والتصديق، فبعضهم كالصولي⁵ (-335هـ) مثلاً أثنى على نقد النابغة، وبعضهم كالزجاج⁶ (-310هـ) مثلاً أنكر الخبر وطعن به وجعله مصنوعاً، وبعضهم ينسب الرد على حسان إلى الخنساء، ويجعل لها الحكم النقديّ في ثمانية مواضع، ينقلها السيوطي (-911هـ) عن الأمدي في شرح شواهد المغني، ويتبعها بقوله: "وحكى ابن جني عن أبي على الفارسي أنّه طعن في صحة هذه الحكاية"⁷ ممّا يرجّح نسبة هذه الأحكام إلى النابغة، وبما أنّ البحث يقف على مزية نقد النابغة فلا بدّ من العودة إلى الرواية السابقة لنبني عليها الدراسة.

بدأ النابغة بقوله: (إنك لشاعر) وحسان لا ينتظر النابغة أن يخبره بأنه شاعر إلّا إذا قصد أن يضعه في طبقة الشاعر؛ لأنّ الشعراء أربع طبقات؛ الفحل الخنذير والشاعر المُلق والشُعْزُور، يقول الجاحظ (-255هـ): "والشعراء عندهم

¹ المقصود بالمائة: الرحم

² غرة، محمّد هيثم، وقاعور، منيرة محمّد. (1431هـ-2010م). البلاغة العربية البيان والبدع. دمشق، منشورات جامعة دمشق. ص: 156

³ الجرجاني، عبد القاهر (-471هـ). (1413هـ-1992م). دلائل الإعجاز. تعليق: محمود محمّد شاكر. ط: 3. مطبعة المدينة ودار المدني. ص: 306

⁴ يُنظر: إبراهيم (1425هـ-2004م). ص: 32

⁵ مثل الصولي، يُنظر: المرزباني (1415هـ-1995م). ص: 76

⁶ البغدادي، عبد القادر بن عمر (1093هـ). (1420هـ-2000م). خزانة الأدب ولبّ لسان العرب. ط: 4. تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي. ج: 8، ص: 107

⁷ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-911هـ). (1386هـ-1966م). شرح شواهد المغني. تحقيق أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي. ص: 257، 256

أربع طبقات: فأولهم: الفحل الخنذ، والخنذ هو التام، قال الأصمعي: قال ربيعة: (الفحولة هم الزواة)، ودون الفحل الخنذ الشاعر المُفْلِق، ودون ذلك الشاعر فقط، والزابع الشعرور¹، وبذلك وضع النابغة حسان دون الفحل والمفلق وقدمه على الشعرور، ومع هذا كله كان حكمه مشروطاً بالآ لا يصنع ما صنعه، بمعنى أنه لو لم يقلل عدد جفانه ولو لم يفخر بمن ولد ويترك من ولده لكان شاعرًا بالمعنى الذي افترضنا أنه يقصده، وحتى نرى المزية في حكم النابغة ينبغي أن نتبين دقة حكمه هذا ومدى إصابته فيه، ويتلخص ذلك في مسألتين:

الأولى: هل حقاً قلل حسان عدد الجفان بقوله جفانت؟ والثانية هل فخر بأبنائه ولم يفخر بأبائه؟

أما قوله (الجفانت) فليس فيه تقليل لدخول الألف واللام الجنسية على لفظ (جفانت)، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾²، وغرفات جمع قلة دخلت عليها الألف واللام الجنسية: "فيكون ذلك تكثرًا لها، وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة، إشارة إلى قلة من يكون فيها، ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا المؤمنون!"³، والأمر عينه ينطبق على موقف حسان إذا أراد الإشارة إلى أن جفانه وجفان قومه كثيرة على قلة الجفان المقدمة، بمعنى أنهم كثيرو الكرم والضيافة على قلة المكرمين، ولاسيما أنها مستمرة حتى في النهار حملاً على قوله: (يلمعن بالضحي) غير مقتصرة على الضيافة ليلاً، وحديثه عن الجفانت تابع لحديثه عن قري الضيف عندما يطرق ليلاً، أضف إلى ذلك معرفة حسان كلا اللفظين (الجفانت والجفان)، لأنه ذكر الأخيرة في القصيدة ذاتها، فقال⁴: (الطويل)

أَبَى جَاهُنَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَدَفَعْنَا وَمِلَأْ جِفَانِ الشَّيْزِ حَتَّى تَهْزَمَا

أما فخره بأبنائه دون آبائه فهو تعميم غير واضح، هل كان ينبغي عليه أن يخص آبائه بالاسم واللقب والكنية، لأنك تجده قد فخر بقومه وأحواله وأولاده، فجمع الفخر من أقطابه، وما قوم الرجل إلا جمع من آبائه وأعمامه وأحواله وأبنائهم من أبناء عمومته وأبناء أحواله وأبنائه وأولادهم وهكذا، ممن يفخر المرء بهم ويشتهد في المعارك بموازرتهم ويقوى، يقول⁵: (الطويل)

بِكُلِّ قَتَى غَارِي الْأَشَاجِعِ لَاحَهُ قِرَاعُ الْكُمَاةِ يَرْشُخُ الْمِسْكَ وَالْذَّمَا⁶
إِذَا اسْتَدْبَرْتَنَا الشَّمْسُ دَرَّتْ مُتُونَا كَأَنَّ عُرُوقَ الْجُوفِ يَنْضَحْنَ عِنْدَمَا⁷
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقِ فَأَكْرَمَ بَنًا خَالًا وَأَكْرَمَ بَنًا ابْنَمَا

فانظر كيف يفخر بهم وبآثار الطعن ومقارعة الشجعان التي تركت عروقاً ترشح دماً ومسكاً، ويظهر الطيب عرقاً تدره ظهورهم، ثم ختم فخره بمن ولد، وفخر حسان بأبنائه إشارة منه إلى طيب العروق التي جاؤوا منها، فيعود الفخر مجدداً إلى الأجداد في حلقة من الفخر المتوارث المتجدد.

¹ الجاحظ، عمرو بن بحر (255هـ)، (1418هـ-1998م). البيان والشيئين. ط: 7. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي. ج: 2، ص: 9

² سورة سبأ: 37/34

³ الزركشي، محمد بن عبد الله. (1404هـ-1984م). البرهان في علوم القرآن. ط: 3. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار التراث. ج: 3، ص: 355

⁴ ديوان حسان (1414هـ-1994م). ص: 220

⁵ ديوان حسان (1414هـ-1994م). ص: 219

⁶ الأشجاع: عروق اليد، الكماة: الشجعان جمع الكمي

⁷ المتون: جمع متن: الظهر، العندم: دم الغزال: أي إذا عرقوا ظهر طيبيهم

وبعد تحريّ الدقة والإصابة فيما قاله النَّابِغَةُ ينبغي التّركيز على الجهة التي اهتمّ بها، ويتلخّص ذلك في نقطتين: الأولى منزلة الشاعر، والثانية أداء اللفظ للمعنى المراد، فالنَّابِغَةُ يَدَّ حَسَنًا شاعرًا لو أنّ ألفاظه خدمت المعنى المثل على الوجه الذي يرتضيه النَّابِغَةُ، فركّز بوصفه شاعرًا-على ما يهَمُّ الشاعر وهي منزلته بين الشعراء فجعلها سبيلًا لإصدار حكمه، ومنها انطلق في توجيه نقده. ثمّ اهتمَّ النَّابِغَةُ باللفظ المختار للمعنى؛ لأنَّ الشعراء تحرص على ما تختاره من ألفاظ لمعانيها، ووجّه نقده إلى حَسَنان من جهة كونه شاعرًا يعرف ما تحرص الشعراء عليه وما تتقيّه، وهذا ما ماز نقد النَّابِغَةُ لشعر حَسَنان، بغضّ الطّرف عن وجه الصّواب والدّقة في نقده، لأننا أمام شاعر فحلّ تقدّمه الشعراء وتشهد له وتأخذ منه وتجعله حَكَمًا على شعرها.

ثانيًا: أحكام الشعراء النقديّة في صدر الإسلام وفي العصر الأموي:

كان للذين الحنيف تأثير في الشعر زمن البعثة وبداية الدّعوة، واشتغل الشعراء في الذّود عن الإسلام وعن النَّبيّ صلى الله عليه وسلّم بشعرهم، وفي مقدّماتهم حَسَنان بن ثابت شاعر الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وارتبط الشعر بتعاليم الإسلام ومبادئه، فجاء النّقد من هذه الجهة للشعر الذي يأتي بما نهى الإسلام عنه، وتحديدًا في عهد الخلفاء الراشدين عندما تكسّب بعض الشعراء بالهجاء، وكان لزامًا على ولاة الأمر أن يقيموا حدود الله بعد إقامة الحجّة والدليل.

حكم حَسَنان على شعر الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر: لقد كان حَسَنان سلاح البيان في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم، فهجا المشركين وشفى صدور المسلمين بما صنع فيهم، وكان باعه في الهجاء والرّد لا يجارى ولا يضاهي، فلا غرابة أن يُرسل عمر في طلبه ليحكم في هجاء الحطيئة للزبرقان، إذ أتاه بالحطيئة وقال: "إنّه هجاني، فقال وما قال لك؟ قال: قال لي¹: (البسيط)

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعِيَّتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فقال عمر: ما أسمعُ هجاءً ولكنّها معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلّا أن آكل وألبس؟ فقال عمر: عليّ بحَسَنان، فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهْجُه ولكن سلّح عليه²

وفي هذه القصّة يظهر موقفان نقديّان: الأوّل للزبرقان والثّاني لحَسَنان؛ أمّا الزبرقان فقد فهِمَ مراد الحطيئة وعرف ما يرمي إليه بمَلَكتِه الشّعريّة وفطنته التي قدّر بها شدّة الهجاء ههنا، فعمر رضي الله عنه لا يرى فيما سمعه هجاء بل مجرد عتاب، أو ربّما يهوّن وطأة البيت على الزبرقان³ وفي رواية أخرى يقول له: "ما أعلمه هجاءك، أمّا ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟! قال: إنّّه لا يكون في الهجاء أشدّ من هذا"⁴، فالمعنى الظاهر لقوله الطّاعم الكاسي بريء لا شرّ فيه، ولكن المجاز العقليّ في ذكر اسم الفاعل والمراد اسم المفعول (المطعموم المكسو) وصف لا تقبله المروءة، ومزيّة رفض الزبرقان للمعنى آتية من سرعة بديهته في الفهم وقدرته على كشف المراد، وإن كان الشعر في مدح بغيض (الرجل الذي تحوّل الحطيئة إلى جواره بعد الزبرقان) ومدّح جواره، لكنّه تعريض للزبرقان وجواره وهجاء لا يُسكت عنه.

أمّا حَسَنان الذي يأتي في هذا الخبر حَكَمًا بين الشّاعرين فأكد ما يرمي إليه الزبرقان، وبحكم خبرته في معاني الهجاء كشف عن مراد الحطيئة، فقال: (لم يهجه ولكن سلح عليه) والسّلح: "اسم لذي البطن، وقيل: لِمَا رَقَّ منه من كلّ ذي

¹ الحطيئة. (1413هـ-1993م). ديوان الحطيئة براوية وشرح ابن السكيت (186-246هـ). ط: 1. دراسة: مفيد محمد قميحة. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: 119

² الأصفهاني (1429هـ-2008م). ج: 2، ص: 120

³ يُنظر: إبراهيم (1425هـ-2004م). ص: 47

⁴ ابن قتيبة (1418هـ-1998م). ج: 1، ص: 328

بطن¹، فقله سلح عليه بمعنى راث² عليه، فحسان ينفي الهجاء قولاً ويثبت ما هو أفضح منه فعلاً في سبيل تأكيد قوة المعنى وشدة تأثيره التي تقابل تأثير هذا الفعل، وكناية عن شدة الهجاء. ويُستفاد من حكم حسان في أمرين: الأمر الأول: أنه نصر الزبرقان في شكواه، وأكد سلامة ذائقته الشعرية بفهم المجاز فيه، فحصل الأخير على حقه بحبس الحطيئة، والأمر الثاني: الوقوف على المزية في نقد حسان، إذ يعدّ قوله حكماً نقدياً يؤكد قوة المعنى عند الحطيئة، وشهادة تثبت قدرته على الهجاء اللاذع، ولكن هل قال حسان ذلك صراحة؟ هل شرح المعنى المراد من قول الحطيئة؟ بالطبع لا، وهو الأدرى بمعاني الهجاء والقادر على الدود عن أعراض المسلمين وردّ الأذى عنهم بلسانه، لكنّه الآن أمام شاعر هجاء من فحول الشعراء الجاهليين، وضعه الجُمحي في الطبقة الثانية من طبقات فحول الجاهلية وقال إنّه كان "شُرود القافية"³ أي إنّ شعره سائر وتشرد قصيدته كما يشرد البعير ويبتعد، فلم يتوسّع حسان بشرح المعاني والألفاظ، وأوجز حكمه بهذه الكناية الشديدة، ومن هذه الجهة تأتي المزية في حكمه بوصفه شاعراً.

حكم نُصيب على شعر الكميت بن زيد: ونُصيب بن رباح من شعراء عصر بني أمية وكان شاعراً عبداً، مدح عبد العزيز بن مروان فوصله واشترى ولأه⁴، وقد جعله ابن سلام الجُمحي (-231هـ) الزابع من الطبقة السادسة من فحول الإسلام⁵، يذكر الأصفهاني (356هـ) خبره مع الكميت وذو الرمة فيقول: "أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال: اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة، فأنشدهما الكميت قوله⁶: (البيسط) هل أنت عن طلب الأيقاع مُنقلب

حتّى بلغ إلى قوله فيها⁷: (البيسط)

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْأُنْسُ وَالشَّنْبُ

فبعد نصيب واحدة، فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة⁸: (البيسط)

لَمَيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسَ وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ

ثم أنشدهما قوله⁹: (المتقارب)

أَبْتُ هَذِهِ النَّفْسُ إِلَّا ادَّكَارَا

¹ ابن منظور (د. ت). مادة سلح، ص: 2061

² يُنظر: ضيف، شوقي، عطية، شعبان عبد العاطي، حسين، أحمد حامد، حلمي، جمال مراد، والتجار، عبد العزيز. (1425هـ-2004م). المعجم الوسيط. ط: 4. جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية. مادة سلح، ص: 441

³ الجُمحي (د. ت). ج: 1، ص: 104

⁴ يُنظر: ابن قتيبة (1418هـ-1998م) ج: 1، ص: 410

⁵ يُنظر الجُمحي (د. ت). ج: 2، ص: 675

⁶ الأسدي، الكميت بن زيد. (1420هـ-2000م). ديوان الكميت بن زيد الأسدي. ط: 1. تحقيق محمد نبيل طريفي. بيروت، دار صادر. ص: 36

⁷ ديوان الكميت. (1420هـ-2000م). ص: 36، ثمة اختلاف في الديوان: وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً بَيْضًا تَكَامَلَ فِيهَا الدُّلْ.....

⁸ ذو الرمة. (1415هـ-1995م). ديوان ذي الرمة. ط: 1. شرح: أحمد حسن نسج. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية. ص: 12

⁹ ديوان الكميت (1420هـ-2000م). ص: 158

حتى بلغ إلى قوله¹: (المتقارب)

إِذَا مَا الْهَجَارِيسُ غَنَّتْهَا تُجَاوِزْنَ بِالْفُلُوتِ الْوَبَارِ

فقال له النُصيب: والوبارُ لا تسكن الفلوات. ثم أنشد حتى بلغ منها²: (المتقارب)
كَأَنَّ الْعُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَا جِئْتُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا

فقال النُصيب: ما هجت أَسْلَمَ غِفَارَا قَطُّ، فانكسر الكُميت وأمسك.³

وهذا الاجتماع بين هؤلاء الشعراء يخلو من أي مظهر رسمي، ليس إلا مجلس شعراء يتناشدون أشعارهم، وبينما الكُميت ينشد بدأ نُصيب بعقد أصابعه في دلالة على العد، فلما سأله الكُميت عن ذلك قال إنه يحصي أخطاءه، ومع ذلك استمر الكُميت بالإنشاد ونُصيب يحصي ويعلق على شعره، فترك لنا ثلاثة أحكام نقدية:

الحكم الأول: (المباعدة في القول فليس الأنس من الشنب)، فالأنس: الغزل، والأنس حديث النساء⁴، والشنب: رقة وبرد وعذوبة في الأسنان⁵، وفي رواية أخرى للبيت: (الذل): وهو حُسن هيئة المرأة، وقيل حُسن حديثها، والذلال للمرأة والذل حُسن الحديث وحُسن المزج والهيئة، ويقال هي تدل عليه، أي تجتري عليه⁶، ولم يكن اجتماعهما مقبولا لبعد هذا عن ذاك، فلا سبيل لتكوين ارتباط بين (حديث المرأة وأنسها) و(رقة أسنانها) لا في الحقيقة ولا في الأذهان لبعدهما.

ويرى المبرد (-286هـ) خطأ الكُميت قبيحا جداً، وذلك: "أنَّ الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يُشاكلها، وأول ما يُحتاج إليه القول أن يُنظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشاكلة"⁷ فهو لم يجمع رقة أسنانها مع ما يناسبه، ولم ينتبه إلى البعد بين الكلمتين، فلم يُشاكل الشنب الأنس من أي جهة ولا من أي طريق، أي إنه لم يراعِ النظم، ومراعاة النظم: "هو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى، أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء وما يناسبه من نوعه، أو ملائمة من إحدى الوجوه"⁸، فذكر الأسنان يطلب ذكر اللثة أو اللسان أو الثغر على سبيل المثال لتقاربهما وتلازمهما.

وإذا أنعمنا النظر من جهة المعنى العام لرأينا تقارباً بينهما؛ لأنَّ الحديث والكلام يكون باللسان وهو وثيق الصلة بالأسنان وإنما ترك لفظ اللسان وعبر عنه بشيء من لوازمه وهو الحديث، وهذا الحديث الرقيق ترافقه الابتسامة مما يُظهر لمعان أسنانها وهي تتكلم فيضفى مزيداً من المتعة والمودة والرغبة في الاستزادة، لكن نُصيباً أخذ ظاهر القول بألفاظه، ولم يسم هذا الأمر كما عُرف لاحقاً واكتفى بقوله (باعدت في القول ما الأنس من الشنب)، وضرب مثلاً على ما أراده واستشهد بقول ذي الرمة فيما يكون بين اللثة والأنياب والشنب من تقارب، وهو ما حرص نُصيب على إيصاله مباشرة؛ لأنه ضمناً أراد تقديم ذي الرمة، وبأسلوب غير مباشر يمكن عد ذلك حكماً نقدياً بتقديم قول ذي الرمة على قول الكُميت، فقدم شعر

¹ ديوان الكُميت (1420هـ-2000م). ص: 159، ثمة اختلاف في الديوان: في الفلوات

² ديوان الكُميت (1420هـ-2000م). ص: 159

³ الأصفهاني (1429هـ-2008م). ج: 1، ص: 227، 228

⁴ يُنظر: ابن منظور (د. ت.). مادة أنس، ص: 149

⁵ يُنظر: ابن منظور (د. ت.). مادة شنب، ص: 236

⁶ يُنظر: ابن منظور (د. ت.). مادة دلل، ص: 1413

⁷ المبرد، محمد بن يزيد. (1417هـ-1997م). الكامل في اللغة والأدب. ط: 3. تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار الفكر العربي. ج: 2، ص: 119

⁸ المدني، علي صدر الدين بن معصوم (-1120هـ). (1389هـ-1969م). أنوار الزبيع في أنواع البيع. ط: 1. تحقيق شاعر هادي شكر. النجف الأشرف، مطبعة النعمان. ج: 3، ص: 119

ذي الرّمة على شعر الكميت من جهة صحّة القول على الأقل، بدليل استشهاده بقول ذي الرّمة الحاضر أصلاً في هذا المجلس.

وهذا التعليل يدلّ على حنكة نُصيب وقدرته على تأويل المعاني والألفاظ بهدف تحقيق مبتغاه، فرفض البعد في قول الكميت وعابه عليه وإن كان مقبولاً في تأويل آخر، لكنّه استساغ قرب المعنى وصحّته في قول ذي الرّمة، وهذه مزية أولى. *الحكم الثّاني: (الوبار لا تسكن الفلوات)، والوبار: جمع مفردة وبرة: دويبة على قدر السّنور طحلاء اللّون لا ذنّب لها تَدُجُنُ في البيوت¹، وهذه الدويبة تسكن البيوت وتُدجن، كيف لها أن تعيش في فلوات مقفرة بلا ماء، فمعرفته بحيوان الصّحراء وما يعيش منها في القفار وما لا يقدر على العيش فيها خبرة قيّمة مكنته من معرفة الخطأ في قول الكميت، والعلم بالحيوان علم ينفرد بنفسه في هذه الأيّام، ولا يعرف دقائقه إلّا من اشتغل به واختصّ بعلومه، وربّما معرفته هذه آتية من اشتغاله عبداً قبل أن يصبح مولى لعبد العزيز.*

ومرّة أخرى يأخذ نُصيب بظاهر المعنى، إذ يمكن تأويل المعنى في قول الكميت؛ فالوبار حقّاً لا تعيش في الفلوات، لكنّه ربّما أراد أنّ أصواتها في الرّدّ على الهجارس قد تعلو حتى تكاد تتخطّى الصّحراء وصولاً إلى هذه الهجارس من باب الغلو في الشّعْر، لكنّ نُصيباً أبى إلّا أن يعيب عليه عدم معرفته بشؤون الحيوان، ومهما يكن من أمر فلا يمكن إنكار سعة اطلاع التي مكنته من مواجهة الكميت بخطئه ومن ثمّ إسكاته، ممّا أعطى نقده مزية ثانية نابعة من خبرته ومعرفته بالحيوان.

الحكم الثّالث: (ما هجت أسلم غفارا قط)، وأكثر المصادر تذكر الخبر ولا تثبت مهاجاة بين أسلم وغفار ممّا يرجّح صحّة مأخذه²، فكيف يُشبّه الكميت بأمر غير واقع حقيقة في الوقت الذي ينبغي على الشّعراء أن تعرف هذه الأمور لأنّها من ضمن أولويّاتهم، وعلى الأقل إذا أراد الكميت أن يدخل ذلك في شعره وأمامه رجل مثل نُصيب يُحصى خطؤه ألا يقع في ذلك؛ لأنّ الشّعراء كانوا: "يعرفون تاريخ الهجاء في القبائل حتى ليستطيعون أن يميزوا القبائل التي انتضلت بينها تلك السلام من القبائل التي تحاجزت فلم يكن بينهما هجاء"³، فكيف يفوت الكميت معرفة ذلك، فهذه واحدة تُحسب عليه، وواحدة تُحسب لنُصيب أكسبت نقده مزية ثالثة مهمّة؛ لعلمه بشؤون العرب واطّلاعه على أخبارهم وأيامهم، واستطاع بذلك أن يدفع الكميت أخيراً إلى الإمساك.

ثالثاً: أحكام الشّعراء النّقديّة في العصر العباسي: ومع هذا العصر انفتح علماء العرب ومفكرهم على ثقافات الأمم الأخرى وعلومها ومعارفها، وتنوّع فنون القول من شعر ونثر، فكان تحوّلًا كبيراً ونهضة قويّة في مجال النّقد والأدب، ومرّة أخرى أثّرت الحياة الجديدة في الشّعراء، فأتى بعضهم بما يناسب العصر وبيئات الفكر، وبعضهم حافظ على النّهج القديم، وبعضهم الآخر تأثّر لكنّه رغب عن بعض ما أتى به غيره، ومن هنا وقف الشّعراء على أشعار غيرهم وأبدوا آراءهم فيها، فضمّت أخبارهم أحكاماً وتعليقات نقدية فتحت الباب للدراسة والبحث.

نقد مسلم بن الوليد شعر أبي العتاهية وأبي نواس: وقد عُذّ ثلاثتهم من الشّعراء المُحدثين المشهورين، ومن أعلام الشّعراء في العصر العباسي، والمحدثون صفة أطلقت على الشّعراء العباسيين حملاً على قول ابن المعتز (-296هـ): "والذي

¹ يُنظر: ابن منظور (د. ت). مادة وبر، ص: 4753

² الزّبيدي (-1205هـ) صاحب تاج العروس ممّن وقفت عليهم وذكر مهاجاة بين أسلم وغفار، يُنظر: الزّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. (1400هـ-1980م). **تاج العروس من جواهر القاموس**. مراجعة: عبد الستار أحمد فراج. الكويت، مطبعة حكومة الكويت. ج: 19، ص: 515، 516

³ الزّافعي، مصطفى صادق. (1421هـ-2000م). **تاريخ آداب العرب**. ط: 1. بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة. ج: 3، ص: 67

يُستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم¹، وكان بين مسلم وأبي نواس ملاحاة وأحاديث عدّة، ونسوق خبراً يبدي فيه مسلم رأيه في شعر لأبي العتاهية وشعر لأبي نواس على الترتيب.

يقول المرزباني (-384هـ): "حدثني علي بن أبي عبد الله الفارسي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو عبد الرحمن الصّيرير عبد الله بن يوسف السمرقندي الخارج مع سيار بن رافع على المأمون- وكان راوية أديباً- قال: رأيت مسلم بن الوليد بجرجان، وهو يتولّاها مقدّمي من مدينة السلام، فسألني عمّن خلّف بها من الشعراء، فقلت له: خلّف بها كوفيّاً وبصريّاً قد غلبا على الشعراء، أمّا من الكوفيين فأبو العتاهية، وهو مقدّم عندهم، فقال: ومن أين يتقدّم عندهم، وهو يقول²: (الطويل)

رُوَيْدَكَ يَا إِنْسَانُ لَا أَنْتَ تَقْفِرُ

أرأيت قوله: ((تقفز!!)) هل سكنت بين فكّي مُحسنٍ قط؟ قلت: وأمّا من البصريين فالحسن بن هاني؛ فإنّه يتقدّم عندهم جميع نظرائه في فنون الشعر. فقال: ويحك! وكيف يكون كذلك، وهو يحيل في كثير ممّا يقول، ويتخطّى صفة المخلوق إلى صفة الخالق عزّ وجلّ؟ قلت: مثل ماذا من قوله؟ قال: أمّا ما أحال فيه، فقوله³: (الكامل)

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

فهذا مستحيل. وقوله⁴: (مجزوء الخفيف)

اسْقِينِيهَا سَلَافَةً سَبَقَتْ خَلْقَ آدَمَا

فَهِيَ كَانَتْ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَا خَلَا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ

وأما ما تخطّاه من وصف المخلوق إلى صفة الخالق عزّ وجلّ فقوله⁵: (المنسرح)

يَجِلُّ أَنْ تَلْحَقَ الصِّفَاتُ بِهِ فَكُلُّ خَلْقٍ لَخْلَفِهِ مِثْلُ

فهذا من الإغراق المستحيل في العقول.

وممّا ليس على مذهب العرب وممّا لا يستحسنه إلّا جاهل قوله⁶: (الطويل)

بَرِيءٌ مِنَ الْأَشْبَاهِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ

وقوله⁷: (السرّيع)

تَكَلُّ عَنْ إِذْرَاكِ تَخْصِيلِهِ عِيُونُ أَوْهَامِ الصَّمَايِيرِ

تَنْتَسِبُ الْأَلْسُنُ مِنْ وَصْفِهِ إِلَى مَدَى عَجْزٍ وَتَقْصِيرٍ⁸

¹ ابن المعتز. (1375هـ-1956م). طبقات الشعراء. ط: 3. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. القاهرة- مصر، دار المعارف. ص: 86

² أبو العتاهية. (1384هـ-1965م). أبو العتاهية أشعاره وأخباره. تحقيق: شكري فيصل. مطبعة جامعة دمشق. ص: 562، ويبدو أن تتمّة البيت تكرر للشطر ذاته.

³ أبو نواس. (1431هـ-2010م). ديوان أبي نواس برواية الصّولي. ط: 1. تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي. أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنيّة. ص: 324

⁴ ديوان أبي نواس (1431هـ-2010م). ص: 138، ثمة اختلاف في الديوان: ولم يكن

⁵ ديوان أبي نواس (1431هـ-2010م). ص: 561

ثمة اختلاف في الديوان: يجلُّ أَنْ تَلْحَقَ الصِّفَاتُ بِهِ فَكُلُّ حُسْنٍ لِحُسْنِهِ خَوْلُ

⁶ ليس في الديوان

⁷ البيت الأوّل لم أهدّ إليه في الديوان، ومنسوب إلى أبي نواس يقول في غلام في الشعر والشعراء، يُنظر: ابن قتيبة (1418هـ-1998م). ج: 2، ص: 807، والبيت الثّاني: ديوان أبي نواس (1431هـ-2010م). ص: 529

⁸ المرزباني (1415هـ-1995م). ص: 324

ومدينة السلام كانت تُطلق على بغداد في العصر العباسي، ونقرأ في هذا الخبر موقفين نقديين؛ *الموقف الأول*: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يوسف السمرقندي الزاوية الأديب الذي سُئل عن الشعراء في بغداد، فبين أن أبا العتاهية (الكوفي) الذي غلب على الشعراء فكان مقدّمًا عندهم، وأبا نواس (البصري) الذي غلب على الشعراء وتقدّم على جميع نظرائه في فنون الشعر، بمعنى أنه وضعهما في المنزلة ذاتها وهي غلبتهم على الشعراء، فقدّمهما عليهم جميعًا وفرّق بينهما في نسبتها إلى منشئهما فقط ليميزهما، *والموقف الثاني*: لمسلم بن الوليد الشاعر المعروف بصريح الغواني الذي أبدى رأيًا مخالفًا للرجل ولجميع من قدّم الشعراء، ودراسة نقده ستؤدّي إلى إظهار مزية حكمه النقدي.

يُطلق مسلم بن الوليد استقهما إنكارياً على تقديمهم أبا العتاهية وهو القائل: (رُوَيْدَكَ يَا إِنْسَانُ لَا أَنْتَ تَقْفُزُ)، فكيف يكون مقدّمًا وفي شعره لفظ تقفز، وأنّ هذا اللفظ لم يأت عليه شاعر مُحسن، فكيف يكون محسنًا بقوله؟! وهذا رأي نقدي يتعلّق باستساغة الزاي حرفًا للروي باعتبار أنّ الشطر الثاني تكررًا للشطر الأول، وهو نصّ شعريّ مفرد لم يأت في قصيدة أو مقطّعة، ومسلم مصيب من هذه الجهة؛ لأنّ استعمال الزاي رويًا نادر الشيوخ¹ في قصائد العرب ممّا يُعزى إلى نسبة ورودها في آخر كلمات اللغة عمومًا، فلو أراد أبو العتاهية نظم قصيدة على الزاي لربّما تعرّس عليه ذلك، وقد عاب عليه مسلم استعماله للفظ واحد فكيف الحال لو جاء بقصيدة على هذا الروي.

وحجّة مسلم أنّه لفظ لم يأت عليه شاعر محسن قط، فتركيب صوت اللفظ يبدأ بحرف نطعي (التاء) ثم يرجع إلى اللهاة بأحد الحروف اللهوية (القاف) ثم إلى حرف شفوي (الفاء) ثم ينتهي بحرف أسلي وهو حرف الصّغير (الزاي) فالطريق الذي يسلكه صوت هذه الكلمة ثقيل على اللسان لتغيّر مخارج حروفها وتباينها، مع ملاحظة أنّ النّقل هنا متعلّق بمجيء تقفز في الشعر، ولا يجدر بالشاعر اختيار ألفاظ لرويه مخارج حروفها صعبة إذا أراد النّجاح لشعره، وربّما هذه وجهة نظر مسلم بن الوليد، ومزية نقده متعلّقة بحسّه الفنّي في اختيار اللفظ المناسب الذي يخدم متطلّبات العصر، ولاسيّما الغناء وارتباطه بخفة الألفاظ وسهولة نطقها، لذلك أخذ على أبي العتاهية قوله (تقفز) إذا تقدّم على الشعراء، وربّما كان المراد بسؤاله الانكاري (هل سكنت بين فكّي مُحسنٍ قط) إشباع (تقفز) برواية السكون لا الضّمة، فيكون تعليقه مرتبط بالوزن الذي لم يحسن الشاعر إحكامه، وموسيقا البيت التي لم ترض عنها أذنّا مسلم ههنا؛ ممّا يعيدنا إلى حسّه الفنّي السابق.

ويضير مسلم بن الوليد أن يتقدّم أبو نواس جميع نظرائه في فنون القول حملاً على قول أبي عبد الرحمن الضّرير، فأبو نواس متقدّم على مسلم بن الوليد نفسه بسبب قوله (جميع نظرائه)، ويكأنّ تقديمهم لأبي نواس قد مسّ مسلماً شخصياً؛ لأنّ ردّه جاء أطول وأكثر دقّة وتفصيلاً وتمثيلاً، ووقف فيه عند مسألتين:

الأولى: كيف يقدّمونه وهو يحيل في كثير ممّا يقول؟ والثانية: كيف يقدّمونه وهو يتخطّى صفة المخلوق إلى صفة الخالق عزّ وجل؟ فطلب منه أبو عبد الرحمن أن يُمثّل لذلك من شعره.

أما المسألة الأولى: (الإحالة): وهي من حول، والمحال من الكلام: ما عُدل به عن وجهه. وحوله: جعله مُحالاً. وأحال: أتى بمُحال، وكلام مستحيل: مُحال، ويُقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته² والإحالة مصطلح نقديّ معناه: "أن يذكر الشاعر أو غيره معنى يستحيل وقوعه"³ ومثّل ذلك قول أبي نواس: (لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقْ) فهذا معنى غير معقول ومستحيل الوقوع، فكيف يشعر بالخوف شيء لمّا يُخلق بعد.

¹ يُنظر: أنيس، إبراهيم. (1371هـ-1952م). *موسيقى الشعر*. ط: 2. مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي. ص: 246

² ابن منظور (د. ت). مادة حول، ص: 1055

³ مطلوب، أحمد. (2001م). *معجم مصطلحات النّقد العربي القديم*. ط: 1. بيروت- لبنان، مطبعة ناشرون لبنان. ص: 45

ومن ثمّ قوله: (سَبَقَتْ خُلُقَ آدَمَا، فَهِيَ كَانَتْ إِذْ لَمْ يَكُنْ) فأبو نواس يجعل وجود الخمرة سابقاً لخلق آدم عليه السلام في طريقه إلى تقديسها وإعلاء شأنها، وأنى له أن يقول ذلك؟! وهذا ضرب من فساد القول وأمر غيبي ليس لمثله أو مثلاً أن يقرّر صحّته ومعرفته.

وفي هذه المسألة يُلاحظ أنّ تركيز مسلم بن الوليد منصباً على دقّة المعاني ومدى صحّتها، فالعقل البشري لا يتقبّل معنى مستحيل الوقوع، وتحديدًا في زمن الشاعرين؛ لأنّه في هذه الأيام تقبّلنا أمورًا كانت مستحيلة في الزمن الماضي ولم يستطع أسلافنا أن يتخيّلوها وهذا من جهة التقبّل، أمّا من جهة تقرير أمور غيبية فهو فساد واضح في القول، والفساد من معاني الإحالة وعندما علّق مسلم بن الوليد على قول أبي نواس فإنّه ردّ ذلك إلى هذا، فجعله دليلًا على إحالة أبي نواس لكنّه لم يصرّح أنّه فساد في القول لغيبية، ومزيّة نقده هنا متعلّقة بضرب من القول يبرع فيه، وتأتي من حرصه على صحّة القول وعدم خروجه إلى المستحيل، فكلا الشاعرين مسلم وأبو نواس خرجا عن نهج القصيدة القديم واستبدلا الخمرة بالأطال، لكنّ هذا التّجديد ينبغي ألا يجعل القول محالًا أو ضربًا من المستحيل المرفوض، أضف إلى هذا كلّ أنّه ندّ لأبي نواس في وصف الخمر ومجالس الشّرب، ولا بدّ أنّه يرى مقدّراته في وصفها أكبر من مقدرة أبي نواس، لذلك أتى حكمه النّقدي من خبرته في هذا المجال.

وأما المسألة الثّانية: (يتخطّى صفة المخلوق إلى صفة الخالق عزّ وجل): أي إنّ أبا نواس يصف الخلق بما يُوصف به الخالق سبحانه وتعالى.

فمنه قوله: (يجلّ أن تلحق الصّفات به) وفي هذا الوصف أمران: (أن يجلّ) و(أن تلحق الصّفات به)؛ أمّا الجلالة فهي لله وحده، فقد جلّ الموقف لعظمته وجلّ الخطاب لشدّته، ولا ينبغي أن يجلّ المرء لئلاّ نصّف المخلوق بصفة الخالق، وكيف يجلّ أن تلحق الصّفات بهذا الشّخص والله عزّ وجلّ وهو خالق الخلق والأكوان وصف نفسه بصفات كثيرة في القرآن الكريم، علمنا بعضها وجهلنا كيفيّة بعضها وعجزنا عن فهم بعضها الآخر، ومثلها لا يكون إلّا له عزّ وعلا، فكيف ينزّه أبو نواس مخلوقًا ويجلّه عن لحوق أمر به حاصل لله عزّ شأنه؟! فالله عزّ وجلّ يُوصف ومن يذكره أبو نواس لا يُوصف، وهذا أمر غير مقبول أبدًا.

ومنه قوله: (ليس له مثل، تكلّ عن إدراك تحصيله عيون) وهذه الصّفات لله عزّ وجلّ وصف بها ذاته الجليلة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾¹، و﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾²، فكيف يتجرّأ أبو نواس أن يصف بها مخلوقًا، والحديث ليس عن صفة الرّحمة والكرم مثلاً، وإنّما عن صفة خاصّة بالله عزّ وجلّ وهي أعظم من أن يُوصف بها المخلوق، فوصف مخلوق بالكرم ليس كوصفه بأنّه لا مثل له، فالله هو الواحد الأحد ليس كمثله أحد.

ومنه قوله: (تنسب من وصفه إلى العجز والتّقصير): فالعجز والتّقصير عن الوصف لا يكون إلّا عن وصفه عزّ وجلّ، وإلّا فيمكن وصف جميع الخلق ولا يقع التّقصير والعجز في ذلك؛ لأنّ المخلوقات المرنّية يمكن إدراك كنهها.

ولا يفوتنا التّنبية على أمر مهمّ يتعلّق بنقد مسلم شعر أبي نواس على وجه التّحديد، فليس كلّ الآراء تتفق ورأي مسلم في شعر أبي نواس، ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي ممّا له صلة بموضوع البحث، يقول المرزباني: " حدّثني بعض أصحابنا، عن محمّد بن القاسم بن مهرويه، عن إسماعيل بن أبي محمّد اليزيدي، قال: اختلف أخي إبراهيم بن أبي محمّد وابن أخي أحمد بن محمّد بن أبي محمّد في بيت أبي نواس ونحن بمرّو، وكان أحمد مقارّبًا لعمّه إبراهيم في السنّ، وهو³: (الكامل)

¹ سورة الشورى: 11/42

² سورة الشورى: 103/6

³ ديوان أبي نواس (1431هـ-2010م). ص: 624

رَسَمَ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ مُحِيلٌ عَفَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيَّكَ طَوِيلٌ

فقال إبراهيم: والله ما هذا بكلام مطبوع ولا مُحسن! وقال أحمد لقد أجاد المعنى وأحسن! فتراضيا بمن يحكم بينهما، واتفقا على مسلم بن الوليد-وكان بمرور-فسألاه، فقال مسلم: إن كان قول أبي العذافر العَمِيّ: (المجتث)
بَاصُ الْهَوَى فِي فُؤَادِي وَقَرَّحَ التَّذْكَارُ

حَسَنًا فَإِنَّ هَذَا حَسَنٌ، فحكم لأخي.¹

وهنا يربط مسلم بن الوليد-من باب السخرية على ما يبدو-الحُسن في قول أبي العذافر بالحُسن في قول أبي نواس، فإن كان قول الثاني حسناً فقول الأول حسن، وبهذا أسقط الحُسن عن كلا النّصين الشّعريين، ولم يعط شعر أبي نواس قيمة على الإطلاق، بل نجد أنّ ابن الأعرابي (-231هـ) قد طرِبَ لنصّ أبي نواس واختار كتابته ولم يكن يعرف أنّه له-وكان يطعن بأبي نواس ويعيب شعره ويستضعفه-وقال: "لمن هذا؟ فوالله ما سمعت أجود منه لتقديم ولا لمُحدث"² فقدّمه على أجود ما جاء من قديم وحديث، وعدم معرفته بقائله عفت أبا نواس من تحامل مُحتمل.

وجدير بالذكر أنّ الإشكال-وإن لم يذكر ذلك صراحة-كائن في الاستعارة في النّصين، وقد عدّها أبو هلال العسكري (-395هـ) من بعيد الاستعارة، وله رأي في تقبل مثل هذه الاستعارات وعلاقتها بقبول الناس لها أو رفضها يقول فيه: "وليس لحسن الاستعارة وسوء الاستعارة مثال يُعتمد، وإنّما يُعتبر ذلك بما تقبله النّفس أو تردّه، وتعلّق به أو تنبؤ عنه"³، وهذا ممّا أردنا الإشارة إليه في قبول الشعراء ورفضهم شعر بعضهم بعضاً، وما ينتج عن ذلك من نقد وما يكتسبه هذا النّقد من مزيّات.

وخلاصة القول إنّ مسلم بن الوليد في نقده شعر أبي العتاهية وأبي نواس اهتمّ بالألفاظ والمعاني على حدّ سواء، ونبه على ما ينبغي للشاعر أن يعتني به في شعره، وتحريّ صحّة القول وصوابه، ومزيّة حكمه النّقديّ تأتي من اهتمامه بدقائق الأمور في الشعر ومراعاته لما ينبغي توخّيه فيه، مع ملاحظة ما لمعاصرتّه الشّعاعرين من أثر في هذا توجيه هذا الحكم النّقديّ.

وممّا سبق نجد أنّ الشعراء أطلقوا أحكاماً نقدية عدّة على شعر غيرهم بطلب أو بغير طلب، وتكشف أخبارهم عن ذائقتهم النّقديّة المتوهّجة، وقدرتها على تمييز جيّد الشعر من رديئه، وإن كان للنّقاد أثر كبير في تقدّم النّقد وتأصيله فإنّ للشّعراء الأثر الأكبر في إخراجه وتوجيهه، وإنّ اختلاف مقاصد النّقاد وغاياتهم في النّقد عن مقاصد الشعراء وغاياتهم في إطلاق الأحكام النّقديّة هو ما أعطى هذا النّقد المزيّة التي نبحت عنها، مع تأثر هذه المزيّة بعوامل عدّة متّصلة بعصر الشاعر والموقف النّقديّ وما يجذب اهتمام الشاعر في شعر غيره، ومهما يكن من أمر فإنّ الموروث الأدبيّ والنّقديّ زلخ بالأمثلة على أحكام الشعراء النّقديّة، ومزيّة هذه الأحكام انطلاقتها من شاعريّة قائلها، ثمّ من قدرتها على كشف اهتماماته بما يخصّ الشعر ودقائقه، واعتمادها على سقطات الشاعر الخصم وهفواته التي تظهر في شعره وإن قلّت، وبغضّ النّظر عن دقّة الحكم وإصابته فإنّ مزيّته نابعة من هذه الجهات مجتمعة.

¹ المرزباني (1415هـ-1995م). ص: 325

² القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (-453هـ). (1972م). زهر الآداب ونثر الألباب. ط: 4. شرح وتحقيق: زكي مبارك ومحمد محيي الدّين عبد الحميد. بيروت-لبنان، دار الجيل. ج: 1، ص: 286، 287

³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (-395هـ). الصناعتين الكتابية والشعر. ط: 2. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمود أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي. ص: 309

الخاتمة

يتسع الباب في دراسة المزية في أحكام الشعراء النقديّة، ويتضح أثرها في تقدّم النقد الذي يساير أثر النقاد في تقدّمه على حدّ سواء، وقد قدّمت هذه الدراسة لمحة عن هذا الأثر، باستخراج المزية في بعض أحكام الشعراء النقديّة في عصور عدّة، وتوصّلت إلى نتائج عدّة:

1. تتأثّر هذه المزية ببيئة الشاعر وترتبط بها أيما ارتباط، فالشاعر ابن بيئته التي عاش فيها وأسست فكره وذوقه وملكته الشعريّة التي استطاع بها توجيه رأيه النقديّ، فأسهمت في جعله مميزاً عن حكم الناقد وتوجهه النقديّ.
2. ينطلق الشاعر في نقده من الجهة التي تهمّ الشعراء عموماً، فيأتي حكمه نابعاً من باعه في الشعر واقتداره على الألفاظ والمعاني وخبرته الشعريّة، متيقّناً من إدراك الشاعر المقابل-صاحب الشعر-لمرادّه ومبتغاه الذي يرمي إليه، بغض الطرف عن إصابته في حكمه أو دقته.
3. تأتي المزية في نقد الشاعر من دُرْبته، فالشاعر وهو الأدرى بمذاهب الشعر ومخارجه ومقاطعته يستطيع الوقوف على الشعر بدقّة إذا كانت دُرْبته قديمة وعالية لأنّه الأدرى بمذاهب الشعر.
4. يكتسب نقد الشاعر مزيته من سرعة البديهة في فهم المراد من الشعر موضع النقد، ومن سرعة البديهة في الحكم على هذا الشعر بما يناسب المقام الذي قيل فيه، مع ملاحظة أنّ هذه المزية متأثرة بدقّة الحكم وإصابته؛ لأنّه يعتمد في أكثر الأحيان على الثغرات والهبوات في الشعر، ويكتسب الحكم النقديّ مزية عالية إذا أصاب كبد الحقيقة وأفحم قائل الشعر.
5. يعدّ الإيجاز في إطلاق الحكم النقديّ أهمّ مزية في نقد الشاعر، ودليل إصابته فيما يرمي إليه؛ لأنّه لا يحتاج إلى كثير كلام لشرح موقفه وتسويغ حكمه وإقامة الحجّة عليه.
6. ترتبط مزية الحكم النقديّ للشاعر بذائقته الأدبيّة والفنّيّة وعلمه بدقائق اللّغة، وتكتسب أبعادها من سعة ثقافته وخبرته الحياتيّة؛ لأنّها عامل مهمّ في إسكات الشاعر المقابل إذا تطلّب الأمر الردّ عليه بالدليل والبرهان.
7. تؤثر اهتمامات الشاعر في أحكامه النقديّة، فتأتي المزية من الجهة التي يبرع فيها من فنون القول؛ لأنّها الميدان الذي يحسن فيه ويقوى عليه، وتحديدًا إذا كان الشعر موضع النقد من الميدان نفسه أو كان بين الشاعرين ملاحاة وجدال.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

1. إبراهيم، طه أحمد. (1425هـ-2004م). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهليّ إلى القرن الرابع الهجريّ. مكنة المكرمة، المكتبة الفيصلية.
2. الأزهرى. محمد بن أحمد (282-370هـ). (1384هـ-1964م). تهذيب اللّغة. تحقيق: عبد السلام هارون. مصر، دار القوميّة العربيّة.
3. الأسديّ، الكُميت بن زيد. (1420هـ-2000م). ديوان الكُميت بن زيد الأسديّ. ط: 1. تحقيق محمد نبيل طريفي. بيروت، دار صادر.
4. الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين (-356هـ). (1429هـ-2008م). الأغانى. ط: 3. تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السّعافين، وبكر عباس. بيروت- لبنان، دار صادر.
5. الأصمعيّ. (1400هـ-1980م). كتاب فحولة الشعراء للأصمعيّ. ط: 2. تحقيق ش. توي، تقديم: صلاح الدّين المنجد. بيروت، دار الكتاب الجديد.
6. أنيس، إبراهيم. (1371هـ-1952م). موسيقى الشعر. ط: 2. مكتبة الأنجلو المصريّة، مطبعة لجنة البيان العربيّ.
7. البغدادي، عبد القادر بن عمر (1093هـ). (1420هـ-2000م). خزانة الأدب ولبّ أبواب لسان العرب. ط: 4. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي.

8. ابن ثابت، حسان. (1414هـ-1994م). ديوان حسان بن ثابت. ط: 2. شرح عبد أ مهنا. بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.
9. الجاحظ، عمرو بن بحر (255هـ)، (1418هـ-1998م). البيان والتبيين. ط: 7. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة، مكتبة الخانجي.
10. الجرجاني، عبد القاهر. (1413هـ-1992م). دلائل الإعجاز. تعليق: محمود محمد شاكر. ط: 3. ودار المدني.
11. الجرجاني، عبد القاهر بن محمد. (د. ت). أسرار البلاغة. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة، مطبعة المدني، جدة، دار المدني.
12. الجمحي، محمد بن سلام (د. ت). طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني.
13. حسين، عبد الكريم محمد. (1425هـ-2004م). فحولة الشعراء عند الأصمعي مفهومها وقاعدتها وتطبيقاتها. ط: 1. دمشق، دار كنان.
14. الحطينة. (1413هـ-1993م). ديوان الحطينة براوية وشرح ابن السكيت (186-246هـ). ط: 1. دراسة: مفيد محمد قمiche. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
15. الخنساء. (1425هـ-2004م). ديوان الخنساء. ط: 2. شرحه حمدو طماس. بيروت- لبنان، دار المعرفة.
16. ذو الرمة. (1415هـ-1995م). ديوان ذي الرمة. ط: 1. شرح: أحمد حسن بسج. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
17. الزّافعي، مصطفى صادق. (1421هـ-2000م). تاريخ آداب العرب. ط: 1. بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
18. الزبيدي (-1205هـ) صاحب تاج العروس مَن وقفت عليهم وذكر مهاجرة بين أسلم وغفار، يُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1400هـ-1980م). تاج العروس من جواهر القاموس. مراجعة: عبد الستار أحمد فراج. الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
19. الزركشي، محمد بن عبد الله. (1404هـ-1984م). البرهان في علوم القرآن. ط: 3. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار التراث.
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-911هـ). (1386هـ-1966م). شرح شواهد المغني. تحقيق أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي.
21. الصّبغي، المتلمس. (11390هـ-1970م). ديوان شعر المتلمس الصّبغي رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي. تحقيق حسن كامل الصيرفي. القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية.
22. ضيف، شوقي، عطية، شعبان عبد العاطي، حسين، أحمد حامد، حلمي، جمال مراد، والتجار، عبد العزيز. (1425هـ-2004م). المعجم الوسيط. ط: 4. جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية.
23. الطاهر، علي جواد. (1979م). مقدمة في النقد الأدبي. ط: 1. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
24. أبو العتاهية. (1384هـ-1965م). أبو العتاهية أشعاره وأخباره. تحقيق: شكري فيصل. مطبعة جامعة دمشق.
25. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (-395هـ). الصناعتين الكتابة والشعر. ط: 2. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمود أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.
26. غرة، محمد هيثم، وفاعور، منيرة محمد. (1431هـ-2010م). البلاغة العربية البيان والبدع. دمشق، منشورات جامعة دمشق.
27. ابن قتيبة. (1418هـ-1998م). الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط: 2. القاهرة. دار الحديث.
28. القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (-453هـ). (1972م). زهر الآداب وثمر الألباب. ط: 4. شرح وتحقيق: زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت-لبنان، دار الجيل.

29. القيرواني، ابن رشيق (-456هـ). (1401هـ-1981م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: 5. بيروت: لبنان، دار الجيل.
30. المبرد، محمد بن يزيد. (1417هـ-1997م). الكامل في اللغة والأدب. ط: 3. تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار الفكر العربي.
31. المدني، علي صدر الدين بن معصوم (-1120هـ). (1389هـ-1969م). أنوار الزبيع في أنواع البديع. ط: 1. تحقيق شاعر هادي شكر. النجف الأشرف، مطبعة النعمان.
32. المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (-384هـ). (1415هـ-1995م). الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. تحقيق محمد حسين شمس الدين. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
33. مطلوب، أحمد. (2001م). معجم مصطلحات النقد العربي القديم. ط: 1. بيروت- لبنان، مطبعة ناشرون لبنان.
34. ابن المعتز. (1375هـ-1956م). طبقات الشعراء. ط: 3. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. القاهرة- مصر، دار المعارف.
35. ابن منظور. (د. ت) لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة. دار المعارف.
36. أبو نواس. (1431هـ-2010م). ديوان أبي نواس برواية الصولي. ط: 1. تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي. أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية.